المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:10، العدد:01 (2026)، ص276-293

مساعي السلطات الاستعمارية الفرنسية لاختراق صفوف المقاومة بالغرب الجزائري عن طريق اتفاقية الكرمة 16جوان 1835

The efforts of the French colonial authorities to infiltrate the ranks of the resistance in western Algeria through the Agreement of El karma on June 16,1835

وفاء مباركية*
تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
o.mebarkia@univ-chlef.dz

فارس العيد
تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
l.fares@univ-chlef.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/12/04
تاريخ القبول:
2026/03/10

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السلطات الفرنسية
- ✓ الدوائر والزمالة
- ✓ اتفاقية الكرمة
- ✓ الأمير عبد القادر

الملخص:

تناول هذا المقال مساعي السلطات الاستعمارية الفرنسية لاختراق صفوف المقاومة في الغرب الجزائري من خلال دراسة اتفاقية الكرمة الموقعة في 16 جوان 1835،باعتبارها إحدى الأليات السياسية والعسكرية التي اعتمدتها فرنسا لإضعاف تماسك قوى المقاومة وإحداث انقسامات داخلية بين الزعامات المحلية والقبلية، تنطلق الدراسة من إشكالية تأثير هذه الاتفاقية في إعادة تشكيل موازين القوي بين الاستعمار الفرنسي والمقاومة بقيادة الأمير عبد القادر، واعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي من خلال استقراء الوثائق الاستعمارية والمصادر المحلية للكشف عن سياقات الاتفاقية وبنودها وانعكاساتها، وتخلص الدراسة إلى أن اتفاقية الكرمة لم تكن مجرد تسوية مؤقتة، بل شكلت جزءا من استراتيجية استعمارية قائمة على سياسة الاختراق والتفكيك الداخلي، وأسهمت في إضعاف بعض شبكات الدعم الاجتماعي للمقاومة وإعادة تنظيم السياسة الاستعمارية في الغرب الجزائري، كما تسلط الدراسة الضوء على حدود هذه السياسة ونتائجها على مسار المقاومة الجزائرية في المرحلة المبكرة للاحتلال.

Article info

Received:
04/12/2025
Accepted:
10/03/2026

Key words:
- ✓ French authorities
- ✓ Circles and Followship
- ✓ The KarmaAgreement
- ✓ Prince Abdelkader

Abstract:

This study examines the French colonial efforts to penetrate the resistance in western Algeria through the Karmet Agreement of June 16, 1835. The agreement served as a political and military tool to weaken the cohesion of resistance forces and create divisions among local and tribal leaders. The research addresses the impact of this agreement on the balance of power between French authorities and the resistance led by Emir Abdelkader. Using a historical -analytical approach based on colonial documents and local sources, the study explores the contexts, clauses, and outcomes of the agreement, Findings indicate that the Karmet Agreement was not merely a temporary settlement but part of a broader colonial strategy aimed at internal infiltration and fragmentation, which weakened some social support networks of the resistance and reorganized colonial policy in western Algeria. The study also highlights the limits of this policy and its effects on the early stages of Algerian resistance.

*المؤلف المرسل

مقدمة

بعد الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر على العدو الفرنسي، حاولت القوات الفرنسية تعزيز مركزها في مدينة وهران سواء في عهد الجنرال "**بواييه**" (Boyer) أو الجنرال "**دي ميشال**" (Michel Jean-Pierre Debré)، ثم فترة الجنرال "**تريزيل**" (CamilleTrézel) هذا الأخير الذي حاول ردع هجومات الأمير على المدن المحاصرة كوهران ومستغانم، ولكن محاولاته تلك باءت بالفشل بل تمكنت قوات الأمير من تكبيد الجيوش الفرنسية خسائر فادحة، ولاحتواء هذه المقاومة فكرت القيادات الفرنسية في اختراق المجتمع في الغرب الجزائري الحاضن للمقاومة عن طريق استمالة بعض القبائل إلى جانبها وهذا ما تم فعلا إذ تمكن الجنرال "**تريزيل**" من التوقيع على معاهدة بينه وبين زعماء الدوائر والزمالة سميت بـ: "**اتفاقية الكرمة**".

تعتبر اتفاقية الكرمة وثيقة أساسية بالنسبة للباحث في تاريخ الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي فهي تبين بدقة مدى تمكن الفرنسيين من معرفة توجهات أطياف النسيج الاجتماعي في الغرب الجزائري واستغلالها لتحقيق أطماعهم الاستعمارية، فقبيلتي الدوائر والزمالة الذين كانوا دائما عرضة بحكم قرب المسافة للتدخل الفرنسي، فقد رضوا شراء هدوء مؤقت عن طريق قبول الحماية الفرنسية، وبمقتضي المعاهدة التي وقعوها وضعوا أنفسهم تحت العلم الفرنسي، وبذلك خرجوا عن طاعة الأمير وناصبوه العداء.

يعتبر موضوع اتفاقية الكرمة من المواضيع الجديدة في الدراسات التاريخية والاجتماعية للغرب الجزائري، اذ لم يسبق لأي باحث أن تناوله بشكل منهجي، حيث تكمن أهمية هذه الدراسة في كشف حيثيات نموذج أساسي من سياسة التفكيك الاجتماعي الاستعماري للمجتمع الجزائري، كأسلوب اعتمدته السلطات الاستعمارية الفرنسية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر في بداياتها، أي كسب أطراف داخل المجتمع الحاضن للمقاومة إلى جانبها، وهي مظهر من مظاهر سياسية فرق تسد التي طبقتها السلطات الفرنسية في الجزائر المستعمرة بل وفي أغلب مستعمراتها، وعليه فالموضوع يسلط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ المحلي لمنطقة الغرب الجزائري التي كانت في بدايات الاحتلال مسرحا لمقاومة وطنية منظمة تحت راية الأمير عبد القادر (1832-1847).

اتفاقية الكرمة تعد من المواضيع التي لم تعطى حقها من الدراسات الاكاديمية حيث نجدها في غالب الأحيان تعالج بطريقة جزئية في الدراسات التي تناولت اتفاقية دي ميشال أو التافنة، من جهة أخري نرمي من خلال هذه الدراسة إلى فهم خلفيات ومنطلقات السياسة الفرنسية الاستعمارية بالجزائر والتي لا يمكن استيعابها والإلمام بها إلا إذا تم البحث في علاقاتها مع القبائل المحلية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز حيثيات توقيع اتفاقية الكرمة بين الجنرال "**تريزيل**" وزعماء الدوائر والزمالة، وذلك لكشف توجهات الطرفين، كما تستهدف هذه الدراسة أيضا التعرف على أهم التحديات التي واجهت الأمير في بناء مجتمع متجانس يدعم المقاومة، وذلك بالتطرق إلى الصعوبات التي وجهها الأمير في إخضاع القبائل الموالية للسلطات الفرنسية، وإبراز الدور الذي قام به بعض المنتسبين إلى تلك القبائل في إضعاف مقاومة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إشكالية الموضوع

- **كيف كانت الظروف التي سبقت توقيع الاتفاقية؟**
- **ماهي الأطراف التي شملتها الاتفاقية؟**
- **ما مدى تأثير تلك الاتفاقية على استمرارية المقاومة تحت لواء الامير عبد القادر؟**

تناولت العديد من الدراسات موضوع الاحتلال الفرنسي للجزائر والمقاومة الوطنية حيث ركزت بعض الأعمال على شخصية الأمير عبد القادر وتنظيم المقاومة في الغرب الجزائري من بينها دراسة هنري تشرشل التي قدمت سيرة تفصيلية للأمير عبد القادر، وأعمال بن عودة مزاري التي تناولت مسيرته السياسية والعسكرية، وكذلك كتاب "**التاريخ الإداري والسياسي للأمير عبد القادر**" لأديب حرب الذي سلط الضوء على بنود اتفاقية الكرمة وشرح السياق الإداري والسياسي للاتفاقية ، كما تطرقت أعمال بول أزان إلى الجوانب العسكرية للصراع الفرنسي الجزائري خلال السنوات الاولي للاحتلال، في حين قدم أبو القاسم سعد الله وإسماعيل العربي دراسة شاملة لتطور المقاومة الجزائرية وعلاقات الأمير عبد القادر بالدول الأجنبية مما يعطي فهما أوسع لسياق الاتفاقيات الاستعمارية، ومع ذلك معظم هذه الدراسات ركزت على الجوانب العسكرية والسياسية، ولم تحلل اتفاقية الكرمة كأداة استعمارية لاختراق صفوف المقاومة وإعادة تشكيل البنية القبلية في الغرب الجزائري, ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تسعي إلى سد هذه الثغرة من خلال تحليل الاتفاقية في أبعادها الاجتماعية والسياسية ضمن الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية المبكرة, وقصد إعطاء الصبغة الموضوعية والعلمية لدراستنا هذه فقد اعتمدنا فيها على المنهج التاريخي وذلك بعرض الوقائع التاريخية وأحداثها وترتيبها حسب الفترات الزمنية، وكذلك المنهج التحليلي المناسب لتحليل الوقائع ونقد بعض الجوانب المرتبطة باتفاقية الكرمة.

1.ظروف ما قبل انعقاد الاتفاقية

1.1. الأوضاع السياسية في بايلك الغرب قبل الاتفاقية

بعد سقوط العاصمة الجزائر في يد الفرنسيين، أصبحت منطقة بايلك الغرب ووهران تحديدا محط اهتمام كبير لدي فرنسا بسبب أهميتها الاستراتيجية، فقد رأت فرنسا أن على وهران أن تكون الهدف التالي لاحتلالها في أقرب وقت ممكن، خاصة وأن موقعها الجغرافي القريب من مضيق جبل طارق يمنح قوة كبري لفرنسا ويعطيها فرصة لمتابعة التحركات البريطانية هناك، باعتبار بريطانيا المنافس التقليدي لها، (Gabriel, 1929, p. 312).

كما أن السيطرة على وهران كانت ستمنح فرنسا قاعدة مهمة للانطلاق نحو بسط نفوذها علي بقية مناطق الغرب الجزائري، مما يجعلها نقطة ارتكاز أساسية في خطتها التوسعية (Paul, 1883, p. 100)، كما حاولت فرنسا استغلال الوضع الداخلي المتأزم في بايلك الغرب ، خاصة ضعف الباي الحسن الذي كان يتولى الحكم في وهران عند سقوط العاصمة الجزائر، فقد كان شيخا متقدما في السن يقترب من الثمانيين، ولم تكن لديه القدرة العسكرية أو الجسدية لمواجهة جيش قوي كالجيش الفرنسي، أما القوة التي كانت تحت امرته لم تتجاوز نحو

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

800 مقاتل وكان يعاني أصلا في توفير الغذاء لهم ودفع رواتبهم، وزاد الوضع سوءا أن الباي الحسن لم يكن محبوبا لدي السكان، بل كان يخشي اندلاع ثورات أو احتجاجات ضده بسبب ما ارتكبه من تجاوزات في حق الأهالي.

وبناءا علي تلك الأوضاع المضطربة كلف الماريشال دي بورمون **(Louis Auguste Victor Compte de chasme de Bourmont)**، ابنه أميدي بقيادة سفينتين بحريتين للتوجه نحو وهران، وقد وصل أميدي إلى ميناء المرسي الكبير يوم 13 أوت 1830 وسارع بفتح قنوات اتصال مع الباي حسن، الذي لم يبدي أي نية للمقاومة والدفاع عن المدينة ، بل إن الباي عرض على القائد الفرنسي الإبقاء عليه في منصبه مقابل الاستمرار في دفع نفس الجبايات التي كان يؤديها للداى سابقا، إلا أن استدعاء الحكومة الفرنسية للماريشال دي بورمون من الجزائر في أواخر أوت 1830 أدي إلى توقف تلك المفاوضات تماما، (سعد الله، 1992، صفحة 32).

بعد أن تسلم الماريشال كلوزيل **(Comte Bernard de clauzel)**، قيادة القوات الفرنسية، أرسل تقريرات جديدة إلى وهران بقيادة الجنرال دامريمون **(Damrémont)** في 11 ديسمبر 1830 استطاع هذا الأخير السيطرة على المرسي الكبير ثم استولي على حصن سانت قريقوري بتاريخ 14 ديسمبر وذلك دون أن تواجهه السلطات العثمانية بمقاومة تذكر، وبحلول نهاية الشهر، كانت أغلب التحصينات المحيطة بوهران قد سقطت تحت سيطرته، ما زاد من رغبته في التقدم نحو المدينة نفسها.

وفي 14 جانفي 1831 استغل دامريمون خروج قبائل المخزن من أسوار مدينة وهران باتجاه تلمسان فتقدم لاحتلال المدينة بسهولة ودون معارضة، عندها أعلن الباي الحسن خضوعه للقائد الفرنسي الذي أشرف علي نقله أولا الي الجزائر العاصمة ثم رحله بعد ذلك إلى الإسكندرية (سعد الله، 1992، صفحة 169).

ففكر أهالي وهران في إيجاد حل مناسب لأوضاعهم فقرروا التواصل مع السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام وأعلنوا له البيعة، ليعفوا بذلك من ولائهم للباي الحسن وقد قبل السلطان هذا الأمر وأرسل مبعوثه المولي على إلى المنطقة، وقد دفع هذا الموقف السلطات الفرنسية لمحاولة التدخل عبر قنصليتها في فاس والرباط معتبرة أن ذلك يعد تدخلا في الشؤون الداخلية للجزائر ويعيق أهدافها، إلا أن السلطان تجاهل هذه الاعتراضات وأرسل مبعوثا أخر ابن الحامري الذي كان يحظى بدعم واسع من قبل بعض التشكيلات الاجتماعية الجزائرية وبقي ممثل السلطان في الغرب الجزائري حتي عام 1832، حيث أقر لاحقا للفرنسيين رسميا التزامه بالحياد تجاه ما يجري في الجزائر. (الناصري، 1956، صفحة 42).

شهدت وهران حادثة أخري تمثلت في اتفاق الباي التونسي علي أساس مع الفرنسيين، ينص على عدم احتلال المدينة مقابل دفع جزية سنوية مقدارها مليون فرنك فرنسي، وبناءا على ذلك جهز احمد باي التونسي حامية عسكرية بقيادة الاغا خير الدين ضمن نحو 300 فارس من المخازنية والزواوة ، وصلت هذه القوة إلى وهران يوم 19 جانفي 1831، حيث كانت المدينة تحت حماية فرنسا وكان هدفها الأساسي التمركز في المنطقة وجمع

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الضرائب من السكان, ومع ذلك لم تنجح الحامية في تحقيق أهدافها كما كان مخطط لها، (احميدة، 2002، صفحة 68)، يري أبو القاسم سعد الله أن هذه الخطوة لم تكن نتيجة كفاح مستقل بل تمت في ظل حماية ودعم من القوي المعادية ، ويحتمل لو كانت المبادرة نابعة من إرادة حرة تهدف لطرد المحتل لوجدت تأييدا أوسع من السكان وانظم أهل المدن وغيرهم إلى طاعة وولاء باي تونس. (سعد الله، 1992).

يمكن الإشارة إلى أن كلا من باي تونس وسلطان المغرب لم يستطيعا السيطرة على حالة الاضطراب التي خلفها انسحاب الباي الحسن من وهران، وخلال هذا الاضطراب كانت الأوضاع تتغير سريعا في الإقليم الغربي للجزائر، اذ شهدت معسكر مبايعة الأمير عبد القادر، وبعد أن أتم الإجراءات الاولي لتنظيم الكيان السياسي الجديد، اتجه إلى جمع البيعة من مختلف القبائل وخلال تحركاته دخل في مواجهات مع بعض القبائل لإخضاعها لسلطته، كما مر بمنطقة أرزيو التي كانت قبيلة الغرابة مكلفة بحراسة ضواحيها، (بربروجر، 1954، صفحة 86).

وتبين للأمير أن قاضي المدينة أحمد بن الطاهر كان يتواصل سرا مع الفرنسيين، فقام بالقبض عليه ونقله إلى معسكر حيث يتم ايداعه السجن، (الجيلالي، 1994، صفحة 18).

تمكن الأمير عبد القادر من بسط نفوذه على معظم القبائل، غير أن بعض القبائل الأخرى قاومت سلطته ورفضت الخضوع له، (بوعزيز، 1983، صفحة 17) وكانت قبيلتا الدوائر والزمالة بزعامة مصطفي بن إسماعيل وابن أخيه المزاري في مقدمة القوي التي عارضت الأمير، فقد شعر قادتهما بتنامى نفوذ الأمير عبد القادر واقترابه من مناطقهم فسارعوا إلى اللجوء إلى تريزيل طالبيين حمايته، مقابل الانضمام إلى قواته في القتال ضد الأمير، (اسماعيل، 1982، صفحة 20).

2.1. ردود فعل قبائل المخزن تجاه التوسع الاستعماري في المنطقة الغربية

كانت قبائل مخزن بايلك الغرب المكونة أساسا من قبيلتي الزمالة والدواوير تستمد مكانتها الاجتماعية في العهد العثماني من ارتباطها الوثيق بالسلطة المركزية ، وقد أسهمت هذه القبائل بدور بارز في دعم واستمرار الحكم العثماني في المنطقة، (سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، 1984، صفحة 98)،ومن خلال ممارستها للسلطة ونفوذها الميداني، برزت قبائل المخزن في موقف يتسم بالعداء مع بعض القبائل التي عاشت أوضاعا اجتماعية صعبة خلال العهد العثماني، ومع سقوط الحكم العثماني في الجزائر إثر استسلام الداي حسين ، دخلت قبائل المخزن مرحلة شديدة التعقيد اذ وجدت نفسها بلا سند سياسي بعدما فقدت الدولة التي كانت تستمد منها شرعيتها. (Esterhazy, 1849, p. 32).

خلال فترة احتلال القوات الفرنسية لمدينة الجزائر، كانت قبائل مخزن وهران تتوزع إلى مجموعتين رئيسيتين الدواوير الذي كانوا تحت قيادة مصطفي بن إسماعيل والزمالة الذين كان يقودهم المزارى (احميدة، 1999، صفحة 60)، بعد الوجود الأول للقوات الفرنسية بوهران في أوت 1830 انتقل المزارى مع أتباعه إلى ضواحي تلمسان في المقابل ظل مصطفي بن إسماعيل زعيم قبيلة الدوائر مع مجموعته في مضاربهم قرب وهران معبرا عن استعداده لدعم الباي الحسن في مواجهة الفرنسيين، غير أن الباي لم يظهر أي موقف معاد للاحتلال الفرنسي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الذي وقع في 14 جانفي 1830، الأمر الذي دفع مصطفي بن إسماعيل لاحقا للالتحاق بابن أخيه المزارى في تلمسان، حيث كانت الاضطرابات تتفاقم بين الكراغلة وممثل السلطان المغربي مولاي على، سعي مصطفي بن إسماعيل بمساندة عدد من الأعيان إلى إقامة مفاوضات بين الطرفيين لتخفيف التوترات في المنطقة، إلا أن مولاي علي تدخل واعتقل هؤلاء الأعيان وأرسلهم كأسري إلى السلطان المغربي، وبعد أن عرض الأعيان على السلطان تفاصيل التجاوزات التي كان مولاي على يرتكبها في تلمسان أمر بإطلاق سراحهم، خلال إقامته عند السلطان اتفق مصطفي بن إسماعيل معه على تقديم الدعم لممثل السلطان الجديد في الغرب الجزائري الشريف بالحمري، لتثبيت سلطته في المنطقة، وعند عودته من المغرب جمع مصطفي بن إسماعيل اتباعه وتوجه بهم إلى معسكر حيث ساعدوا الشريف بلحمري على تعزيز نفوذه وإرساء سلطته في المنطقة، (Esterhazy, 1849). أدت سياسة ممثل الباى التونسي في وهران إلى نفور شريحة كبيرة من السكان منه، فابتعدت قبائل المخزن التي كانت قد أبدت حسن نية تجاهه، وعادت إلى مضاربها الاصلية بضواحي وهران، وقد تسلم حير الدين التونسي ممثل الباي مقاليد الحكم في المنطقة بعد الاحتلال الفرنسي، فسعت قبائل المخزن إلى التقرب منه على اعتبار أن حكم مسلم قد يكون أفضل لهم من حكم أجنبي غير مسلم، ومع تأزم الوضع ومغادرة الباي التونسي لوهران ظل أعيان قبائل المخزن يراقبون التطورات بحذر، حتي جاء دور الشيخ محي الدين الذي دعا إلى الجهاد ضد القوات الفرنسية في وهران (اسماعيل، 1982، صفحة 56).

2. المنطقة الغربية للجزائر وتاريخ انطلاق المقاومة

نظرا لتفاقم الأوضاع وفوضي الوضع العام، شرع أعيان القبائل في البحث عن حل للخطر المحدق بهم، في أوائل شهر أفريل 1832 اجتمعوا في معسكر واتفقوا على ضرورة توجيه سكان المنطقة لمواجهة التهديد الحقيقي الذي يهدد الجميع وهو الاحتلال الفرنسي، من خلال اعلان الجهاد ضد الفرنسيين كوسيلة لتجاوز الخلافات الداخلية وتوحيد الصفوف، كما تم الاتفاق على أن يتولى الشيخ محي الدين قيادة القبائل نظرا لمكانته واحترامه بين السكان ولحكمته في التعامل مع الاضطرابات السابقة، عقب الاجتماع شكل الشيخ محي الدين قوة من قبائل المنطقة وتوجه بها نحو وهران، (Paul, 1883, p. 8) حيث هاجم يوم 17 أفريل 1832 فرقة استطلاعية للجيش الفرنسي وتمكن من القضاء على معظم عناصرها ثم انتقل إلى منطقة سيدي معروف بين مستغانم ووهران حيث أقام معسكرا لقوات المقاومة بغرض مراقبة تحركات الفرنسيين وفي يوم 03 ماي، انضمت إلى تلك القوات مجموعة أخرى من المقاتلين جاءوا من مختلف قبائل المنطقة، سار على رأس تلك القوات الشيخ محي الدين في نفس اليوم إلى عين الكرمة، حيث نظم قوات المقاومة التي كانت معه و هاجم في عصر ذلك اليوم القوات الفرنسية، التي كانت تتمركز بقرقيطا (خنق النطاح)، فتمكن المجاهدون من تشتيت صفوف تلك القوات، وواصلوا قتالهم حتى أسوار حصن سانت أندري، إلا أن التحصينات التي أقامها الفرنسيون حول الحصن و نيران المدفعية جعلت المجاهدين يتراجعون، وفي صباح اليوم التالي انتقل الشيخ محي الدين مع قوات المقاومة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى رأس العين و منها شن هجوما على القوات الفرنسية المتحصنة بحصن سانت فيليب (الجزائري، 2007، صفحة 147).

لقد أدى الحماس الذي أبدته قوات المقاومة الشعبية تحت قيادة الشيخ محي الدين في قتال الفرنسيين إلى جعل روح المقاومة و الجهاد تنتشر في مختلف أرجاء الغرب الجزائري، فزاد عدد القبائل المساندة للمقاومة حيث اجتمع في 06 ماي بضواحي وهران أعيان حوالي 32 قبيلة، و أعدوا العدة لمهاجمة القوات الفرنسية، إلا أن يوم 11 ماي كان يتصادف مع حلول عيد الأضحى، فجمع الشيخ محي الدين أعيان القبائل مرة أخرى في 09 ماي و اتفق معهم على أن يقضي المجاهدين عيد الأضحى مع عائلتهم وأوصاهم بتشديد الحصار الاقتصادي على القوات الفرنسية بوهران، واتفق الجميع على التأهب لتجديد القتال ضد الفرنسيين بعد انقضاء فترة العيد، (الجزائري، 2007، صفحة 151).

خلال الفترة الممتدة من احتلال مدينة وهران 1631 إلى جوان 1832، حصلت تطورات جديدة في المنطقة كانت لا تبشر بالخير وتهدد استمرار المقاومة، ذلك أن الجنرال بواييه بدأ يتدخل لربط اتصالات مع بعض قبائل المنطقة لتمويل الحامية الفرنسية بوهران، ومن جهة أخرى عمل على جعل العلاقات بين قبائل تلك المنطقة في حالة اضطراب لإضعاف المقاومة وبالفعل نجح في ذلك ونتج عنها أن ربطت كل من: قبائل الزمالة والدوائر وقاضي آرزيو بن طاهر علاقات تجارية مع الفرنسيين، أما في مستغانم فكان القائد إبراهيم محاصرا من قبل قبائل مزغوان، (تشرشل، 2009، صفحة 35).

ومن أجل تقوية صفوف المقاومة والقضاء على تلك الاضطرابات والتحالفات مع العدو قام الشيخ محي الدين بمراسلة العربيي في الشلف، وطلب منه مهاجمة مستغانم بينما اتجه مرة أخرى إلى تلمسان لتسوية الخلافات التي كانت قائمة بها بين الحضر والكراغلة، وفي نفس الوقت طالب العثمانيين بتزويده بالمدافع، كما قام بإرسال تهديد شديد اللهجة إلى قاضي آرزيو يطالبه فيه بالكف عن التعامل مع الفرنسيين، لكن كل هذه الجهود باءت بالفشل.

وبالرغم من كل هذه الإجراءات التي قام بها الشيخ محي الدين، إلا أن الاضطرابات كانت تتصاعد بين سكان المنطقة، وكانت الأوضاع تنبأ بحرب بين بعضهم البعض، فالجنرال بواييه تمكن بفضل جواسيسه من إحداث الفتنة بين قبائل الزمالة والدوائر من جهة، وقبيلة الغرابة من جهة أخرى، ولكي يقطع الشيخ محي الدين الطريق أمام تصاعد تلك الفتنة قام بإعلان الجهاد مجددا ضد القوات الفرنسية، ولكي يوجه أنظار السكان الجزائريين إلى الخطر الحقيقي الذي يهددهم وهو الاحتلال الفرنسي، فسار في 31 أوت 1832 على رأس مجموعة من رجال قبيلة الغرابة باتجاه وهران، حيث صادر بعض المؤون التي كانت موجهة للفرنسيين بوهران، (سعد الله، 1992، صفحة 169).

في 19 سبتمبر شنت عناصر المقاومة هجوما على مدينة وهران، إلا أن التحصينات والمدفعية الفرنسية أجبرتهم على التراجع ثم عاد الشيخ محي الدين في 23 أكتوبر لقيادة هجوم جديد على رأس 500 مقاتل، ورغم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أن هذه الهجمات لم تحدث تأثيرا كبيرا على القوات الفرنسية إلا أنها اشعلت حماسة القبائل للانضمام إلى الجهاد ضد المحتل فانضم إلى الشيخ نحو 3000 مقاتل وسار بهم في نوفمبر باتجاه وهران، حيث نصب ثلاث كمائن للقوات الفرنسية في ضواحي المدينة لكن الفرنسين اكتشفوا هذه التحضيرات واطلقوا المدفعية من برج سانت اندري، وفي اليوم التالي خرجت قواتهم لمواجهة المقاومة في معركة عنيفة بمنطقة سيدي الشبل تكبدت فيها قوات المقاومة خسائر فادحة نتيجة القصف المدفعي وخبرة الجيش الفرنسي، دفع هذا الشيخ محي الدين إلى سحب المجاهدين نحو مسرغين.

ومما سبق يمكن الاستنتاج أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الجزائري كانت عاملا محفزا لبداية المقاومة في المنطقة، كما كشفت عن الحاجة لوجود سلطة قادرة على تنظيم هذه الأوضاع وتحقيق الاستقرار بين السكان.

1.2. جذور الدوائر والزمالة: النشأة والانتماء

يعود أصل جماعتي الدوائر والزمالة إلى فروع عربية وبربرية كانت تلتحق بخدمة الباي محمد، حاكم معسكر والقائد الذي استعاد وهران من الاسبان، واثناء انتشار وباء الطاعون في المغرب الأوسط اضطر الباي إلى التخييم خارج المدينة، فتبعه الأهالي إلى هناك وفي تلك الفترة اختار مجموعة من خدمه ليقيموا حول خيامه، فأطلق عليهم لاحقا اسم الدوائر بينما كلف مجموعة اخري بنقل أمتعته وأثقال الجيش، فأصبحوا يعرفون باسم الزمالة. (اسماعيل، 1982، صفحة 22).

مع مرور الزمن نالت الطائفتان مكانة عند الأتراك وأصبح ابناؤهما يتمتعون بامتيازات عديدة بما في ذلك إعفاءهم من دفع الضرائب، واخذ الناس يتقربون إليهم ويهرعون لخدمتهم، وقد كثر نسلهم وزاد الاختلاط بالتزاوج بينهم، وأصبح هذا الخليط من الناس يشكل قبيلتين بمعني من المعاني بعدها انتقل الباي محمد إلى وهران إثر فتحها، انتقلت معه الدوائر والزمالة إلى عاصمته، وأصبحوا يشغلون الوظائف العمومية وارتفع شانهم، بحيث كانوا يشكلون العمود الفقري للإدارة التركية، وهذه النقطة (أصل الدوائر والزمالة) مهمة جدا لفهم سلوك هاتين القبيلتين تجاه الأمير عبد القادر فيما بعد، حيث كان هم زعمائها القيام بدورهم التقليدي في خدمة الحاكم والتقاط فتات مائدته بقطع النظر عن جنسه ودينه (اسماعيل، 1982، صفحة 21).

2.2. دور قبائل الزمالة والدوائر في النسيج الاجتماعي القبلي لبايلك الغرب

خلال العهد العثماني في بايللك الغرب لم تكن السلطة المركزية حاضرة بقوة في كل المناطق الريفية، مما منح بعض القبائل فرصة للسيطرة شبه المستقلة على الأراضي الزراعية والرعوية، قبائل الزمالة والدوائر تميزت بهذا الدور إذ أصبحت تسيطر على مساحات واسعة من الأراضي وتفرض على السكان المحليين جزءا من المحاصيل أو الرعي مقابل السماح لهم بالعيش والزراعة، هذه السيطرة لم تكن اقتصادية فقط بل كانت رمزا للسلطة الاجتماعية والهيبة داخل النسيج القبلي حيث ارتبط امتلاك الأرض مباشرة بمكانة القبيلة ونفوذ شيوخها (بلقاسم، 2014، صفحة 174، 191)، لم تكن السيطرة على الأرض مجرد منفعة اقتصادية بل أصبحت دليلا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على الهيبة والسلطة الاجتماعية داخل المجتمع القبلي فقد اقتضت العلاقات الاجتماعية في ذلك الزمن أن يكون من يمتلك الأرض ولديه القدرة على توزيعها أو التحكم فيها أكثر نفوذا في حل النزاعات وتصريف شؤون القبائل وبالتالي كانت الزمالة والدوائر تستخدم هذا النفوذ في تنظيم العلاقات بين العشائر داخل بايلك الغرب الأمر الذي عزز مكانتها في الهرم الاجتماعي (سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، 1984، صفحة 98).

3. أطراف اتفاقية الكرمة (اتفاقية الدوائر والزمالة)

1.3. الجانب الفرنسي

بعد إقدام إسماعيل ولد القاضي شيخ قبيلة بني ماضي على التواصل مع الفرنسيين وبيعه حصانا لأحدهم في وهران، زاد توتر وقلق الأمير عبد القادر تجاه ولاء القبائل وبنية السلطة القبلية وبعد تأكده من صحة هذه الاخبار من وكيله بن يخو، أمر المزاري بتاريخ 14 حزيران بتوقيف هذا الشيخ وإعادة القبليتين إلى تلمسان (عبود، 2024، صفحة 11)، نفذ المزاري مهمته وما إن قبض على شيخ بن ماضي حتي اتجه تريزيل ليرد علي هذا التصرف بطريقة عملية، فخرج من وهران في 15 حزيران علي رأس قوة من 2500 مقاتل وعسكر في مسرغيين غير بعيد من مضارب القبليتين لمحاربتهما، ولما رأى رجالهما جنود الفرنسيين تشجعوا واتحدوا ضد عبد القادر، فطردوا المزارى واطلقوا سراح بن إسماعيل ولد القاضي.

كان نجاح تريزيل حافزا يشجعه على الإقدام فخالف أوامر رؤسائه متصلا بقبيلتي الدوائر والزمالة وفكر بنقض بنود معاهدة دي ميشال من خلال تحريض وتشجيع بعض القبائل التي شكلت طابورا خامسا، كون نواة حزب فرنسا في الجزائر على التمرد ضد الأمير ودولته وتوفير الحماية لهم مما حتم علي الأمير رغم حاجته للمزيد من فترة السلم الاستعداد للحرب واضطر إلى العودة إلى الجهاد ضد الخونة والمرتدين من القبائل وكان في طليعتهم الخائن موسي بن الحسين المعروف بابي حمار الذي استولي على المدينة التابعة لدولة الأمير مدعيا انه المهدي المنتظر (العربي، 2007، صفحة 189).

لقد كانت قبيلتي الدوائر والزمالة، بحكم قربها من النفوذ الفرنسي أكثر الفئات تعرضا لتدخلات الاحتلال وهو ما كبدهم خسائر كبيرة ومع تكرار ذلك بدأت طبيعتهم المتسامحة تميل إلى البحث عن مخرج يخفف الضغط فاختاروا إظهار قدر من المهادنة للفرنسيين رغم تمسكهم في الباطن بمشاعر العداء لهم، وبما أنهم لم يكونوا معتادين على فكرة التضحية ونكران الذات التي تتطلبها الوطنية الصادقة، فقد قبلوا بحل مؤقت يضمن لهم الهدوء وذلك عبر الموافقة على الحماية الفرنسية، وطبقا للاتفاق الذي ابرموه مع دي ميشال وضعوا أنفسهم تحت الراية الفرنسية في منطقة مسرغين على بعد ثلاثة فراسخ من وهران. (تشرشل، 2009، صفحة 99).

كتب تريزيل إلى الحاكم يخبره بقبول الدوائر والزمالة الخضوع لدولة فرنسا وإنهم طلبوا منه أن يأذن لهم في النزول بأرض "**مسرغين**" خارج وهران وأن يعين لهم فرقة من العسكر لحمايتهم، حيث أن الحاكم كان مؤملا في الحصول على المعاهدة، أجاب الجنرال أن يتربص في أمرهم وأن يكون معهم على حالة تحتمل قبول طلبهم ورفضه (الجزائري، 2007، صفحة 272)، ولما وصل ذلك إلى الأمير كتب إليهم: "**أما بعد... [فليكن في**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

علمكم جميعا، انه طالما نصحناكم وبينا لكم ما يجب عليكم شرعا أن تفعلوه او تتركوه، فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا إليه، والأن بلغ السيل الزبي فلابد أن ترجعوا عن غيكم وتسلكوا جادة الإسلام التي مضي عليها أباؤكم وتتركوا منازلكم التي انتم فيها الأن، وترجعوا إلى منازلكم الأولي، بقرب تلمسان وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم، لا يحل بكم الانتقال بحول الله وقوته ...] " (المزاري، 2007، الصفحات 132-133).

لما بلغ هذا الكتاب أولئك القوم، تحيروا في أمرهم وصاروا بين آمرين خطيرين إما الانقياد للطاعة والرحيل من منازلهم الجديدة أو التحالف مع الفرنسيين، ثم استقروا على الرأي الثاني وأرسلوا وفدهم إلى الجنرال "**تريزيل**" فأطلعوه على حقيقة أمرهم وطلبوا منه انجاز ما وعدهم به (تشرشل، 2009، صفحة 132).

بعد خروج الجنرال تريزيل رفقة جيش يقدر بـ 1440 جنديا إلى الكرمة في 16 جوان 1835، والتي تقع على بعد 18 كلم جنوب المرسي الكبير وعلى شاطيئ سبخة وهران (القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، 2008، صفحة 145)، اجتمع كبار الدوائر والزمالة وأبدوا طاعتهم للفرنسيين، وتم توقيع معاهدة الكرمة في نفس اليوم (Azan, 1929, pp. 49-50) والتي تضمنت ما يلي:

- **الاعتراف بالسلطة الفرنسية:** التزمت القبائل بالاعتراف بالحكومة الفرنسية والدخول تحت حمايتها.
- **خضوع الزعماء المحليين:** تعهد الزعماء الذين يعينهم الحاكم العام بالانصياع لأوامره.
- **دفع الضرائب:** الالتزام بدفع الضرائب السنوية في مواعيدها المعتادة وبمركز وهران كما كان معمولا في السابق.
- **استقبال الفرنسيين:** التزمت القبائل باستقبال الفرنسيين بحفاوة في مناطقها مع الحفاظ على حقوقها في المقاطعات.
- **حرية التجارة:** أعطيت الحرية للجميع في التجارة، مع إمكانية تصدير البضائع من المرافئ التي يحددها الحاكم العام.
- **احتكار تجارة الأسلحة:** اقتصرت تجارة الأسلحة والذخائر الحربية على السلطات الفرنسية وحدها دون غيرها.
- **تقديم المقاتلين:** وجوب إرسال المقاتلين التابعين للقبائل لمساندة الحاكم في وهران خلال الحملات العسكرية في المقاطعات الإفريقية.
- **تجهيز القوات اثناء الحملات:** منح الفرسان المسلحين بندقية يوميا والجند المشاة بندقية واحدة، على أن يحمل كل منهم خمس طلقات، ويسلم لاحقا عشر طلقات من المخازن الفرنسية كما تتكفل القوات الفرنسية باستبدال خيول القبائل المقتولة، وتخفيض رواتب الجند اذ تناولوا وجباتهم من المطابخ الفرنسية.
- **حماية القبائل المجاورة:** يمنع الاعتداء على القبائل المجاورة، وفي حال وقوع هجوم يتدخل حاكم وهران لحمايتها.
- **تأمين احتياجات القوات الفرنسية:** يجب تزويد القوات الفرنسية التي تمر في المناطق العربية بكافة احتياجاتها من طعام ومؤون للجند والخيول بالأسعار العادلة.
- **تسوية النزاعات:** يتم البث في الخلافات بين القبائل عبر القضاء المحلي للقبائل.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– **تعيين رؤساء القبائل:** على كل قبيلة اختيار رئيس يسكن وهران مع عائلته ويعمل على التواصل مع السلطات الفرنسية. (حرب، 1983، صفحة 165).

فوافقوا على الشروط وأقروا بها.

بفضل هذه الاتفاقية اكتسبت السلطات الفرنسية حلفاء جدد، لهم من القوة ما سيمكنها من إضعاف جبهة المقاومة الوطنية وجبهة الأمير عبد القادر بعد انضمام عدة عناصر من هذه القبائل إلى القوات الفرنسية، وأصبحت تشكل قوة ضاربة في الجيش الفرنسي، ونتيجة لذلك أصبحت العلاقة متوترة وعدائية بين الأمير عبد القادر وقبائل الزمالة والدوائر، حيث اعتبر الأمير تلك الاتفاقية ضرب لوحدة المجتمع الجزائري.

ولما رجع الجنرال "**تريزيل**" إلى وهران بعث إلى الحاكم يخبره بما أجراه مع أولئك القبائل، وأرسل إليه صورة ما اشترطه عليهم، فلم يجر القبول ولا وقع موقع الاستحسان وبعث إليه يخبره بان هذه الشروط التي أجراها مع قبيلتي الدوائر والزمالة وهذا العمل وان يكن سيعود علي فرنسا بالنجاح، فانه سيكون لا محالة مانعا لإمضاء المعاهدة المنتظرة مع الأمير عبد القادر، وبالجملة فان هذا العمل لم يوافق طريق الصواب (الجزائري، 2007، صفحة 274).

غضب تريزيل لهذا الرد وكان جوابه إلى الحاكم: "... **لقد وصلني ردكم، وفهمت بان وساوس ابن دران الموسوي كادت تؤثر فيكم، والذي أقوله أن هذا الرجل لم تكن له خبرة ولا عنده وقوف على بواطن الأمير، وخلاصة القول أن ما أجريته مع الدوائر والزمالة لم يكن مخالفا لأوامر مجلس وزراء الحرب في باريس، وان كانت أفكاركم ترفض ذلك، فتكرموا برد ورقة الشروط مع تعيين من يخلفني في وهران** ..."، فلما اطلع الحاكم علي هذا الكلام علم أنه قد أخطأ في اجتهاده وأن تريزيل أكثر اطلاعا منه على غوامض أمور الحرب (الجزائري، 2007، صفحة 275).

2.3. الجانب الجزائري

كان الأمير ما يزال يريد عدم استئناف الحرب لذلك اكتفي بالكتابة إلى الحاكم يحتج على ما أجراه تريزيل ويقول له: "...**[لقد ارتكبتم ما يؤدي إلي نقض المعاهدة التي عقدناها مع الجنرال دي ميشال ارتبطت بها دولة فرنسا واعتمدتها ومن جملتها، أن لا تقبلوا من يلتجئ إليكم من العرب، كما أننا لا نقبل من يغر إلينا من الفرنسيين**..."، (القادر، مذكرات الامير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، 2008، صفحة 151) فجاء الجواب من الحاكم محتويا على مخادعة، "...**إني أوضح لسموكم أن المعاهدة التي رغبنا في إجراءها الأن معكم لا تكون مخالفة للمعاهدة التي وقع عليها الاتفاق مع الجنرال دي ميشال سابقا، نعم إن لفظة "هارب" المحررة في صك المعاهدة السابقة، لم تفهم منها العموم إذ ربما يكون الهارب ليس في نيته الالتجاء، وإنما قصد بسكناه عندنا ما هو جارين الناس من تفضيل ولاية على أخري، واعتقد ان لا يضر ولا يكون فاتحا لأبواب الخصام الذي لا شك أن يكون ممقوتا عند أصحاب السلم العام هذا وأنني على كل حال أحافظ على تلك المعاهدة ...]**" فأجابه الأمير بقوله: "...**[لقد وقفت علي ما يحوزه كتابكم ، والذي أقوله لك**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأن أنك أيها الحاكم تعلم الشروط التي ربط بها دي ميشال نفسه بإذن دولته وعند وصولك للجزائر وعدتني بالمحافظة عليها وانك تعلم جيدا أن الحكومة الفرنسية ملزومة بان ترد إلي كل مذنب التجأ إليها ، ولو كان رجلا واحدا، فكيف يكون الامر بالنسبة للقبيلة والعشيرة، وعلى هذا فان قبائل الدوائر والزمالة من جملة رعيتي التي احكم فيها بموجب شريعتي والأن أبلغك البلاغ الأخير، انك ان رفعت الحماية عنهم فنحن علي ما كنا عليه من المعاهدة التي وقع عليها الاتفاق قديما، وإلا فإنني لا استطيع مخالفة شريعتي في التخلي عنهم حتي أنهم لو اعتمدوا علي رأيهم لضعف آرائهم وقلة ميزهم ودخلوا مدينة وهران فلا ارفع عنهم يدي ، ولابد أن ألحقهم وأطالبهم بالرجوع عن خطأهم الفاحش، وبالإضافة إلى ذلك فان ديني يمنعني من السماح لمسلم أن يكون تحت سلطة مسيحي، فاختر ما يحلو لك وإلا فأن ألة الحرب ستحكم بيننا...]" (الجزائري، 2007، صفحة 277).

4. دراسة نقدية لبنود الاتفاقية

1.4. المضمون والتحليل

تعهدت الدوائر والزمالة بالخضوع للسلطة الفرنسية ودفع الضريبة السنوية لها وفي الأوقات المعينة (المواد 1 و3 و4) والحقيقة أن وضع القبيلتين في منطقتيهما، كان عندما عقدت الاتفاقية بينهما وبين الجنرال تريزيل قلقا وضعفا عسكريا، بينما القوات الفرنسية في المنطقة الغربية قوية مجهزة بأحدث الأسلحة ومدربة حسب الأنظمة الحديثة، لذا أصر شيوخ القبيلتين على الحماية الفرنسية مبدين مخاوفهم من جراء الالتجاء الأمير لشعورهم بخطر سيطرته التامة عليهم، لم يكن العهد الذي قطعه شيوخ القبيلتين على أنفسهم وهو الاعتراف المطلق بالسيادة الفرنسية، إلا اتفاقا صادرا عن رغباتهم، لأنهم كانوا منذ زمن بعيد يخافون الأمير، واعتبر تريزيل ذلك فرصة سانحة للحصول على المكاسب، ولم يتردد بالموافقة رغبة في اتخاذ مناطق هاتين القبيلتين نقاط انطلاق لمهاجمة مقاطعة عبد القادر.

أعطت اتفاقية الكرمة الفرصة لعناصر القبيلتين بتعاطي التجارة، الخيول، المواشي، والمحصولات داخل حدودها وبحرية مطلقة (المادة 5) أما التجارة الخارجية كشراء الأسلحة والعتاد الحربي، فقد احتكرتها السلطة الفرنسية وحصرتها في المرافئ التي تدر مالا أكثر لخزينتها (المادة 6).

لقد أكدت الاتفاقية أن مصالح فرنسا في الجزائر يجب ألا تمس والحقوق المعترف بها لحكومة باريس في منطقة القبيلتين جوهر المعاهدة وواقعها وزادت الامتيازات مكانة فرنسا قوة ومناعة، وأمر المحافظة على مركزها العسكري والتجاري في المنطقة أصبح أساسيا.

التزمت القبيلتان بتقديم معونات كبيرة لمؤازرة الجيش الفرنسي أثناء حملاته، مقابل تعويض يدفع لمقاتليها فور الانتهاء من المهمات (المواد 7 و8 و9 و10) وأعطت هذه المساعدة العسكرية للفرنسيين الحق بالتوغل بعيدا في الداخل وفرض شروطهم على السكان، إذا اقتضي الأمر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هذا الالتزام المفروض على القبيلتين منع تسوية جميع المشكلات القائمة بين عبد القادر وبينهما لأن شيوخها قد خطوا خطوة كبيرة نحو القطيعة وزادت تصرفاتهم على الوضع العام سوءا وتوترا.

أشرف شيوخ الدوائر والزمالة بموجب المادة 2 على كافة الأمور الدينية، زواج، طلاق، ورث ... ومنحوا الصلاحيات للبث فيها من غير العودة إلى السلطات الفرنسية وفي التعديلات أو الأمور المتنازع عليها بين قبيلة وأخري، يعود القرار النهائي للحكم فيها إلى قاضي عاصمة الإيالة الغربية (المواد 12،13). ولم تعارض القبيلتان أي تعديل يتناول صلاحيات قضاتهما وشيوخهما، بل اقتنعتا بان فرنسا هي الوحيدة المؤهلة لحل المشاكل العالقة، (حرب، 1983، الصفحات 168–169).

5. نتائج اتفاقية الكرمة على الجانبين (الجزائري، الفرنسي)

1.5. على الجانب الجزائري

على الجانب الجزائري كان أحد أهم آثار اتفاقية الكرمة هو تفكيك البنية القبلية التقليدية التي اعتمدها الأمير عبد القادر، اذ مكنت الاتفاقية فرنسا من استمالة بعض القبائل مثل الزمالة والدوائر للوقوف إلى جانبها ضد الأمير وهو ما أضعف سلطة الأمير التقليدية، لم تكن الاتفاقية مجرد نص مكتوب بل أداة عملية لتفكيك التماسك القبلي خاصة فيما يتعلق بتوزيع الأراضي والسيطرة على الموارد من خلال هذا التحليل يتبين كيف تحولت بعض الزعامات القبلية من كونها دعامة لمقاومة الاحتلال إلى جزء من آليات الضغط الفرنسية ما أحدث تغيرات ملموسة في النسيج الاجتماعي وسلطات القبائل المحلية .

فكان من المنطق أن يعارض الأمير على هذه الاتفاقية لأنها تعتبر تعدي على حقوقه وحد لطموحه الهادف إلى توحيد الجزائر، فقد أوضح جازما بأنه لن يقبل بها، واعتبرها صدمة أدت إلى نتائج سلبية في مجالات ثلاثة:

من الناحية السياسية فإن خضوع هاتين القبيلتين يعني توغل الفرنسيين إلى الداخل وسيطرتهم عليه، ولهذا طلب الأمير عدم منح عناصرها اللجوء، وقد راسل الأمير الحاكم العام و"**تريزيل**" بهذا الخصوص، موضحا بأن مثل هذه الأعمال ستعقد الأمور، وأكد لدارلون **(Darlan)** عزمه على التورط في الحرب، إذا لم يتراجع ممثله في وهران عن إجراءاته.

فشل الأمير في إرضاء مطامح زعماء الدوائر والزمالة، واستحال عليه إقناع الفرنسيين بالتراجع عن تصرفاتهم (حرب، 1983، صفحة 169).

وفي الجانب العسكري برهنت الاتفاقية عن ضعف وحدات الأمير عبد القادر لمواجهة الصعاب، والدليل انه لم يقدم على أي عمل عسكري ضد القبيلتين او الفرنسيين، لقلة عدد قواته التي مازالت في طور الإنشاء، وندرة عتادها الحربي، لقد كان الأمير عبد القادر بحاجة إلى وقت لتنظيم جيشه النظامي وتزويده بالعتاد الحديث.

من الناحية النفسية كان هدف الأمير فرض الانضباط الصارم على جيشه لرفع معنويات أفراده، لكن ذلك يتطلب العمل المتواصل وحثهم على محاربة الفرنسيين فخطرهم هو أكبر خطر في نظر الأمير. في إقليم وهران

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاصة كانت هذه الفترة تشهد تذمرا واتهامات، فتريزيل يتخذ موقفا هجوميا، فقد كان يبحث عن وسيلة لتحقيق أهدافه في وسط هذه الأخطار الكبيرة التي خلفتها الاتفاقية مع دوائر والزمالة، فقد قرر محاربة الأمير وعلي مسؤوليته الخاصة، أما عبد القادر فقد انزعج من هذه السياسة وطلب من الحاكم العام وقائد مقاطعة وهران العسكري الكف عنها وازداد الوضع سوءا وتأزما بعد ذلك وأصبحت الحرب وشيكة بين المتنازعين، فأخذا الطرفان يستعدان للقتال (حرب، 1983، صفحة 170).

1.1.5.معركة المقطع 29 جوان 1835

وقعت بواد المقطع بالغرب الجزائري قرب وهران، تكبدت فيها الجيوش الفرنسية هزيمة نكراء، كان دارلون مدركا لخطر تصرفات تريزيل، فأوعز إلى ابن دران والمقدم لامورسيير **(Christophe Léon Louis Juchault de Lamoriciére)** بالانتقال في 18 حزيران 1835 إلى معسكر لتهدئة خاطر الأمير، كما أمر ممثله في وهران وقف استعداداته العسكرية لتجنب نشوب حرب مع عبد القادر، (العربي، 2007، صفحة 190) القرار صعب على دارلون حيث وجب الاختيار بين تأييد خطوة تريزيل أو معارضته وإعادة إلى وهران، (بلاح، 2006، صفحة 79).

لم يكترث تريزيل لنصائح لاموريسيير وابن دران وانتظر تعليمات المسؤولين في الجزائر العاصمة وفي باريس، فقد رأي أن الظروف مواتية للقضاء علي عبد القادر بتكملة استعداداته القتالية وبالتالي أصبح لزاما عليه عدم الإصغاء إلى أحد والتحرك بقواته لتحقيق مبتغاه (المزاري، 2007، صفحة 136).

جهز الجنرال تريزيل جيشا قوامه حوالي ثلاثة ألاف رجل نحو مدينة معسكر، لكنه أخطا في استهانته بعدوه وتصوره لمدي سهولة حملة يقوم بها داخل البلاد، (الجزائري، 2007، صفحة 278).

فاتجه إلى وادي سيق وعند دخوله إلى الغابة التي كانت تسمي بغابة مولاي إسماعيل، اصطدم بقوات المقاومة التي كان عددهم ما يقارب تلاثين (30) ألف رجل وكان من بينهم 1200 رجل من المشاة، واستمر القتال عدة ساعات تعثرت خلالها القوات الفرنسية وعم في صفوفها الفوضى، (قنان، 1994، صفحة 110).

قام تريزيل بتقسيم جيشه فاتجه أحدهما إلى المستنقعات يمينا، بينما أسرع الأخر نحو الجبال وهكذا فتحت ثغرة بين الوحدات الفرنسية، توغلت فيها القوات الجزائرية وهاجمتها في كل الجهات، حيث أمر الأمير 2000 فارس بعبور نهر الهبرة والتوجه عبر المستنقعات للسيطرة على القافلة الفرنسية المزودة بالمؤون والعتاد الحربي (القادر، مذكرات الامير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، 2008، صفحة 119).

استطاع الأمير من خلال هذه المعركة تكبيد الفرنسيين خسائر فادحة في صفوف جيشها، كان الأمير عبد القادر يري هذا الانتصار انتقاما من الفرنسيين لأبناء معسكر، حيث اهتز الرأي العام الفرنسي لنتائج المعركة، وطالبه بتوجيه حملة ضد معسكر وقائدها عبد القادر (المزاري، 2007، صفحة 136).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.1.5.النتائج المترتبة عنها بالنسبة للأمير

كانت كلها نتائج إيجابية على دولة الأمير عبد القادر حيث رفعت معنويات القبائل التي ساندته، ودخول البعض الأخر في طاعته انتشار خبر النصر في هذه المعركة حتى في الشرق الجزائري، حيث ظهرت العديد من القبائل والزعامات الموالية له، وفي العديد من المدن المغربية التي أقامت الحفلات بانتصاره وسارعت إلى تقديم يد المساعدة له.

2.5. على الجانب الفرنسي

لما بلغ حاكم الجزائر خبر هذه الواقعة أصدر أمره إلى الجنرال "**تريزيل**" أن يتخلى عن وهران ويسلمها للجنرال "**دولورانج**" **(d'Arlanges)** ويحضر إلى الجزائر ففعل، ووصل هذا الخبر إلى دولة فرنسا، فاحتدمت لذلك وكثر الشغب ونودي في محافلهم أن العرب هدموا شرف فرنسا وهزموها.

حيث عبر أحد الأعيان في مجلس النواب على أن هجوم الفرنسيين على بلاد الجزائر يعتبر من الأعمال الناشئة عن الطيش والهوس لأن سائر الأعمال الحربية فيها لم تأت بنجاح والمدن التي استولوا عليها لا يوجد فائدة من البقاء فيها. (الجزائري، 2007، صفحة 288).

ثم قام السيد " تيريس " (Tris) وهو الذي تقلد رئاسة الجمهورية الفرنسية 1871 بعد حرب ألمانيا فقال :

"...**[إن غزتنا الإفريقية لا تحسب من قبيل المهاجرة، ولا من القبيل المطالبة بقصد التملك وحالنا في تلك الأقاليم لا يحكم عليها بأنها من أحوال الحرب، ولا من أحوال السلم وقصارى ما أقول أنها غزوة باطلة ولا أقول ذلك طعنا في عسكرنا وفي قوته وبأنهم ليسوا من أهل الشجاعة وأنهم ليسوا بأهل معرفة، ولكن أقول أن الحرب لا تكون إلا لأمرين إما للفتح وإما للتربية، فان كان الأول فليس هذا سبيله، وان كان الثاني فلم نحصل عليه، ولم نصل إليه ...]**".

فلما سمعت رجال المجلس هذا الخطب تغيرت أفكارهم وكثر الضجيج، وكاد أن يختل نظام المجلس، ثم اتفقوا على أن ينفض المجلس في ذلك اليوم، ثم يعقد مرة أخري، ومن الغد اجتمعوا واتخذوا قرارهم على عزل الكونت "**دوروراندورلون**" حاكم الجزائر وتوليه الماريشال كلوزيل مكانه وإقرار الجنرال "**دولورانج**" على ولاية وهران، وآمروا كلوزيل ببدء الحملة العسكرية على معسكر عاصمة مملكة الأمير (حرب، 1983، صفحة 172).

وأما الأمير فإنه علم أن يوم "**المقطع**" وإن جاء بنصر عظيم وتأييد جسيم، فانه قد فتح باب حروب يشيب لها الوليد ويتقاعس على دخول ميدانها البطل الشديد كان الجنرال "**كلوزيل**" من أنصار الاحتلال الشامل للجزائر، وكان من بين الإجراءات التي قام بها:

تشكيل قوة عسكرية هائلة والتوجه بها نحو معسكر عاصمة الأمير، ونظرا لصعوبة الموقف أمر الأمير بإخلائها من سكانها ومن كل من تمكنوا من حملها، فتمكن من اقتحامها في 16 –12 –1835، وتدمير وحرق ما أمكنه ذلك، وكان أهم شيء غنمه هو مكتبة الأمير النفيسة، إلا أنه وجدها خاوية على عروشها فعاد أدراجه

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى وهران وعلى إثر تراجعها عنها رجع إليها الأمير من جديد، وأعاد بناء كل المعالم الحضارية التي طالتها يد العدو الفرنسي.

خاتمة

من خلال ما تم عرضه من وقائع تاريخية خلصنا ختاما أن هذه المعاهدة جاءت بعد الانتصارات التي أحرزها الأمير ضد العدو حيث بدأ الاتصال بين الطرفين بالرسائل ثم بالتفاوض حيث زعمت الدوائر والزمالة أنها خضعت لفرنسا بسبب قربها من مواقعها غير أن هذه الذريعة لم تقنع الأمير، إذ لا يمكن له القبول بذريعة "**القسوة والمعاناة**" أن تكون سببا للخيانة وإذا قبل بهذه الذريعة فإن كل مخططاته لحصار الأعداء وتحرير البلاد ستنهار.

رفض الأمير لاتفاقية الكرمة أولا لأنها كانت نقضا لبنود معاهدة دي ميشال وثانيا لأن الأمير لا يزال بحاجة إلى وقت لتنظيم جيشه وتزويده بالعتاد الحديث والدليل على ذلك عدم إقدامه علي أي عمل عسكري ضد القبيلتين أو الفرنسيين لقلة القوات وندرة العتاد.

هذه الاتفاقية أعطت فرصة للأمير ليظهر قدرته على فرض الطاعة واستعمال القوة ممزوجا باللين والميل إلى العفو من جهة، ومن جهة أخري فإن انتفاض بعض القبائل عن طاعته جعل الفرنسيين يتأكدون من الاعتقاد الراسخ في أذهانهم بأن العرب غير قادرين على التنظيم وينفرون من الخضوع لسلطان غير سلطان القبيلة وبذلك استنتاموا لهم بأن الأمير لن يتمكن من جمع تيار عربي كفء للنضال والمقاومة.

قائمة المراجع

-Azan, P. (1929). **L'Emir abdel-Kader 1808-1886 du fanatismemusulman au patriotism echrétien librairie** . paris .

-Berthelot, F. B. (2009, novembre). **La restitution 3D, outil de l'archéologie de Reims antique (Durocortorum)**. In Virtual Retrospect 2009. Ausonius., 04, 11-17.

-Charlotte, C.-P. (2020). **La restitution et le retour des biens culturels volés lors de la colonisation**. Ffdumas-03247416f, p07, 08.

-Christophe Riedinger, M. J. (2015). **Restitution 3D de monuments historiques à partir de plans anciens**. 03.

-Crochat, J. &. (2021). **Du dessin à la restitution virtuelle, l'utilisation des nouvelles technologies dans l'étude de la sculpture du haut Moyen Âge.** Les Cahiers de l'École du Louvre. Recherches en histoire de l'art, histoire des civilisations، archéologie, anthropologie et muséologie, (17).(17), 02.

-de Bideran, J. (2016). **Des restaurations de papier aux restitutions virtuelles,** construction d'une reconnaissance scientifique et d'une mémoire patrimoniale. In De la médiation des savoirs: Science de l'information-documentation et mémoires-Colloque international MUSSI, (p. 05).

-Desjardin, É. &. (2009). **GISSAR: de la saisie de fouilles à l'analyse spatiotemporelle en archéologie**. Spatial Analysis and GEOmatics (pp. Actes-sur).

-Esterhazy, W. (1849). **Notice historique sur le Maghzen d' oran** .

-Fuchs, A. (2006). **Outils numériques pour le relevé architectural et la restitution archéologique.** (Doctoral dissertation, Université Henri Poincaré-Nancy I). nancy, france.

-Gabriel. (1929). **la prised'Alger1830**. paris.

-Georgopoulos, A. (2014). **3D virtual reconstruction of archaeological monuments**. Mediterranean Archaeology and Archaeometry,, 14(04), 155-162.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

-GOLVIN, J. C. (2005, 05 02). **L'image de restitution et la restitution de l'image,** cours de DPEA «Culture numérique et patrimoine architectural». caen, caen, france. Récupéré sur https://www. unicaen. fr/cireve/rome/pdf/COURS1.

https://all3dp.com. (2024). Consulté le 02 01, 2024, sur https://all3dp.com/1/best-photogrammetry-software.: https://all3dp.com/1/best-photogrammetry-software.

https://www.larousse.fr. (2024 ,01 01). تم الاسترداد من https://www.larousse.fr/: www.larousse.fr

Jan, POSPÍŠIL .(2012) .Digital Reconstruction of Archaeological Finds .08-07 Masaryk University.Brno,FAKULTA INFORMATIKY، Tchéquie .تم الاسترداد من https://scholar.google.com/scholar?hl=fr&as_sdt=0%2C5&q=Digital+Reconstruction+of+Archaeological+Finds.+These%2C+MASARYKOVA+UNIVERZITA+FAKULTA+INFORMATIKY&btnG=

-Maumont, M. (. (2010). L'espace 3D: **de la photogrammétrie à la lasergrammétrie. Revue des patrimoines,,** 13, 03.

-Molnar, A. (2018). **3D reconstruction of monuments from drone photographs based on the spatial reconstruction of the photogrammetric method.** , Advances in Science, Technology and Engineering Systems Journal, 03, 2525-258.

-Paul. (1883). **histoire conquéte -colinisation**. L' Algérie: Librairie Firmin.

-Reverdy-Médélice, I. R. (2012). **La valorisation du patrimoine: problèmes méthodologiques**, limites et enjeux de la restitution archéologique et historique. 06. Grenoble, Grenoble, france.

-Roman, R. (2018). **Une nouvelle maquette de restitution hypothétique d'un navire à dolia**. Archaeonautica. L'archéologie maritime et navale de la préhistoire à l'époque contemporaine,, 20, pp. 233-237.

-Salanave-Péhé., P. (2016). **Un bloc d'architecture : son étude, sa restitution et son impression 3D.** Archéologie et Préhistoire. ffdumas-01417244, 73.

-Santacana, J. &. (2008). **Problèmes généraux concernant la restitution en archéologie.** 02.

-Tahar Ghalia, B. M. (2007-2013)**. Architecture domestique punique, hellénistique et romaine**. Sauvegarde et mise en valeurs, le site de DEMNA WADI ARREMEL et son complexe oléicole. Archéologie et essai de restitution. 97.

www.oxfordreference.com. (2024 ,01 03). تم الاسترداد من https://www.oxfordreference.com-.

-Yaka Çetin, F. İ. (2012). Reconstruction of archaeological sites: Principles practice and evaluation. International Journal of Architectural Heritage, 6(5), 579-603.

-Yves., E. (2011). La photogrammétrie, principes généraux et terminologie. Collection EDYTEM. Cahiers de géographie, Images et modèles 3D en milieux naturels(12), 42.

- ابو العباس احمد بن خالد الناصري. (1956). **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصي**. الدار البيضاء: دار الكتاب.

– ابو القاسم سعد الله. (1992). **الحركة الوطنية الجزائرية** (الإصدار 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

– ادريان بربروجر. (1954). **مع الامير عبد القادر ، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الامير في البويرة 1837–1838**. (ابو القاسم سعد الله، المترجمون) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الزطنية وثورة اول نوفمبر.

اديب حرب. (1983). **التاريخ الاداري والسياسي للامير عبد القادر 1808–1847** (الإصدار 1). الجزائر: دار الرائد.

– الامير عبد القادر. (2008). **مذكرات الأمير عبد القادر** . الجزائر : دار الأمة .

– الامير عبد القادر. (2008). **مذكرات الامير عبد القادر** (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849. الجزائر: دار الامة.

– العربي اسماعيل. (1982). **العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الامير عبد القادر** . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .

– بسام العسلي. (1883). **الامير عبد القادر الجزائري** . الجزائر : دار الرائد .

– بشير بلاح. (2006). **تاريخ الجزائر المعاصر من 1830–1989**. الجزائر: دار المعرفة.

– بن عودة المزاري. (2007). **طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في اواخر القرن التاسع عشر** (الإصدار 1). دار البصائر.

– جمال قنان. (1994). **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**. الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- سعد الله ابو القاسم. (1992). **الحركة الوطنية الجزائرية** (الإصدار 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- شارل هنري تشرشل. (2009). **حياة الامير عبد القادر**. (ابو القاسم سعد الله، المترجمون) الجزائر: دار الرائد.
- عبد الرحمان الجيلالي. (1994). **تاريخ الجزائر العام** (الإصدار 7). الجزائر: المطبعة العربية.
- علي عبود. (جوان , 2024). **الأمير عبد القادر في مواجهة قبائل مخزن وهران الكبير 1832 -1843** . حوليات جامعة قالمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية المجلد 18 العدد 1، صفحة 11.
- عميراوي احميدة. (1999). **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث** . قسنطينة : منشورات جامعة منتوري .
- عميراوي احميدة. (2002). **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس اواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**. قسنطينة، الجزائر : دار البعث.
- ليلي بلقاسم. (يناير , 2014). **دراسة لوضعية القبائل والملكية العقارية بمنطقة غليزان مع نهاية الفترة العثمانية بالجزائر** المجلد 1 العدد 1 . مجلة المرآة للدراسات المغاربية ، صفحة 174 191 .
- محمد بن عبد القادر الجزائري. (2007). **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر**. الجزائر: مؤسسة الامير عبد القادر.
- منور العربي. (2007). **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر** . الجزائر : دار المعرفة .
- ناصر الدين سعيدوني. (1984). **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر** . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .
- ناصر الدين سعيدوني. (1984). **دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .
- يحيي بوعزيز. (1983). **الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري** . تونس : الدار العربية للكتاب .

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)